المســـرح والسينمـا فـي العـــراق

طرائف عن التأسيس وتقاليد العرض الإخباري وأبو الأربعين و(أبو البالطوات)

زياد مسعود

كان محبو المسرح وهواته في بغداد مطلع القرن العشرين يقدمون أعمالهم على نحو بدائي ساذج لعدم وجود من يدرب ويعلم ويخرج النص فنيا، وكان مفهوم التمثيل أو التشخيص يعني الفصول الهزيلة التي تقدم على مسارح الملاهي من قبل جعفر أغا لقلق زادة وأمثاله وتسمى (الإخباري) حيث يسخر لقلق زادة من نفسه ومن زميله حسقيل (أبو البالطوات)، وسط ضحكات الحضور ومرحهم.

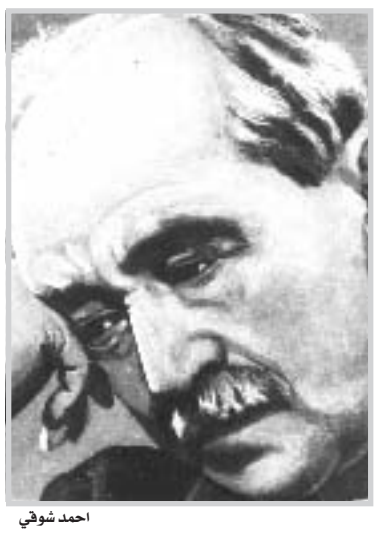
احمد شوقي

عزيز علي

خليل شوقي

لكن تطور الاهتمام بهذا الفن نقله إلى مستوى آخر، إذ قاد الفنان حقي الشبلي عدداً من الشباب ليقدموا مسرحيات جادة تستهدف تقديم الجديد الممتع بأسلوب بعيد عن التهريج، وقد انضم إلى الشبلي الكثير من الشباب أمثال فاضل عباس وصباح عطا وعبد الكريم مجيد ونوزي محسن الأمين وفائق عبد الله والمصري كوكو نوري الذي جاء مع فرقة أمين عطا الله ثم استقر ببغداد حتى وفاته. وكان من علامات الاقتدار وحسن التمثيل قديماً الصياح بصوت مرتفع وتضخيم مخارج الألفاظ، لكن ذلك تلاشى بحسن التدريب وفهم عمل الممثل، وقد انتشر فن التمثيل في المدارس وتألفت في الثانويات لجان الخطابة والتمثيل، وتأسست في الثانوية المركزية ببغداد فرقة تمثيلية يرأسها الطالب عبد الهادي المختار، وفي دار المعلمين الابتدائية فرقة اشتهر من ممثليها الطالب عبد الله العزاوي الذي قضى حياته بعد ذلك ممثلا ومخرجاً للتمثيليات في الإذاعة العراقية.

وقد أسست جماعة من الهواة جمعية لتشجيع فن التمثيل بعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة هي جمعية التمثيل العربي رأسها خالص الملا حمادي وقدم (النادي الأدبي) في الموصل مسرحية (فتح عمورية) لعبد المجيد شوقي وفي البصرة أصدر د. سليمان غزالة مسرحيته الشعرية (لهجة الأبطال) في طبعتها الثانية عام ١٩١١ ولم يعثر على تاريخ الطبعة الأولى منها.

وأسس كل من أحمد قاسم راجي وعبد الجبار البغدادي وسليم زلفو وتقي شمس الدين والشاعر كمال نصرت جمعية (إحياء الفن) وأقنعوا الشاعر الكبير معروف الرصافي بإلقاء قصيدة في حفل الافتتاح فأنشد يقول:

إن رمت عيشا ناعماً ورقيقاً
فاسلك إليه من الفنون طريقا

وبلغ إيراد الجمعية من حفلاتها في سينما رويال أربعمائة روبية فيما كانت المصاريف تتجاوز الـ٤٦٠ روبية لذلك أعلن حل الجمعية لإفلاسها. والمهم أن الفرق التمثيلية تزايد عددها تدريجياً وقدمت إلى العراق فرق فنية من مصر وتركيا وسوريا ومنها فرقة عبد النبي اوكشكش بيك ومعها الفنان نجيب الريحاني وهو ممثل مصري مشهور أصله من مسيحيي البصرة كما يؤكد هو في مذكراته التي أشرف على طباعتها الناقد عثمان العنتبي ضمن سلسلة (كتاب الهلال)، ومما يذكر هنا أن أجداد الشاعر أحمد شوقي هم من كرد السليمانية، فشوقي والريحاني عراقيان أصلاً مثلما هو الحال مع أحمد عرابي باشا زعيم الثورة العرابية، وقد مكث نجيب الريحاني فترة في بغداد كما جاءت إليها فرقة ارطغرل بك التركية، وفي سنة ١٩٢٦ قدمت فرقة جورج أبيض بك وأحيت عدة حفلات في العاصمة والموصل والبصرة وكان حقي الشبلي الشاب يساعد في أعمال هذه الفرقة حتى قرر إنشاء الفرقة التمثيلية الوطنية عام ١٩٢٧ برئاسة وعضوية فاضل عباس بهرام ومحيي الدين محمد وعبد الله العزاوي وفوزي محسن الأمين وسليم بطي وعناية الله الخيالي، وخلال الثلاثينيات ظهرت فرق نشطة أخرى هي (العربية) و (فرقة بابل) و (جمعية أنصار التمثيل) أدارها الفنانون يحيى فائق ومحمود شوكت وصبري شكوري.

وسافر حقي الشبلي إلى مصر بدعوة من فاطمة رشدي التي دعته للدراسة على يد زوجها عزيز عيد لكن فاطمة رشدي ذاتها انفصلت عن عزيز عيد لتتزوج ضابطا عراقيا مكثت معه عاماً كاملاً انفصلت عنه عائدة إلى مصر وعندما عاد الشبلي وجد عزيز علي قد ترأس الفرقة الوطنية فأسس الشبلي الفرقة العصرية ثم دمجتا معاً تحت اسم فرقة حقي الشبلي التي استمرت في نشاطها حتى أوفد الشبلي لدراسة المسرح في فرنسا وعند عودته عام ١٩٣٩ أسس فرع التمثيل في (المعهد الموسيقي) الذي كان قد تأسس عام ١٩٣٦ وبات اسم المعهد معهد الفنون الجميلة وعميده الشريف محيي الدين حيدر يعاونه حقي الشبلي. وكان من أبرز ممثلي الجيل الثاني يوسف العاني وخليل شوقي وسامي عبد الحميد وجاسم العبودي ولهم حديث خاص آخر لتميز عطائهم.

السينما

شاهد البغداديون أول عرض سينمائي في سينما بلوكي عام ١٩٠٩، وكانت دار سينما بلوكي قد تأسست في موقع شركة الكهرباء في محلة العبخانة اليوم وقد عرضت أفلاماً صامتة تمثل حياة رعاة البقر. وتشير مصادر أخرى إلى أن أول عرض سينمائي حدث في جانب الكرخ ليلة الأحد الموافق ٢٦ تموز ١٩٠٩ في دار الشفاء وأشارت ذات المصادر أن العرض المهم الثاني كان في محلة العبخانة في شهر أيلول ١٩١١ وقد عرضت فيه مقاطع متعددة من أفلام صامتة هي صيد الفهد - الرجل الآلي - سباق من مناطيد - بحر هائج - تشييع جنازة إدورد السابع ملك بريطانيا.

وإلى جانب سينما بلوكي التي كانت تعرض الأفلام الصامتة ظهرت سينما عيسائي عام ١٩١٣ في محلة رأس القرية، ثم توالى إنشاء دور العرض مثل رويال سينما التي غنت على مسرحها أم كلثوم ومكانها اليوم عمارة الرصافي المقابلة لتمثال الشاعر الرصافي. وكان أول عرض للأفلام الناطقة قد تم في سينما الوطني سنة ١٩٣٩ بفيلم ملك الموسيقى، وبين العشرينيات والأربعينيات من القرن الماضي تأسست سينما ما بين النهرين وسنترال سينما والرافدين في محلة السنك ثم ريكس وروكسي الصيفي عام ١٩٤٦ سبق ذلك تأسيس سينما ليالي الصفا الصيفي سنة ١٩٣٠ قرب جسر مود على ضفة النهر (سمي الجسر بجسر الملك فيصل فيما بعد ثم جسر الأحرار).

وفي عام ١٩٣٩ أنشئت سينما الملك غازي في حديقة الأمة الحالية التي كانت تسمى حديقة غازي وفي عام ١٩٤٦ تأسست سينما الازرملي في جانب الكرخ، والازرملي هي التسمية المواجهة لشارع الشيخ معروف، وفي عام ١٩٤٩ تأسست في الكرخ سينما (ريجنت) ومقرها الأرض المجاورة لوزارة العدل في الصالحية حالياً وقد حضر افتتاحها الأمير عبد الإله الوصي على العرش العراقي آنذاك وعرضت السينما فيلم (بياعة اليانصيب) للمطربة رجاء عبده، وسبب حضور الوصي هو إن تسمية (ريجنت) تعني (الوصي) بالإنكليزية.

ومن دور العرض السينمائية الأولى في مراكز الألوية (المحافظات) آنذاك سينما الحمراء وسينما الرشيد وسينما الوطني وسينما روكسي وسينما شط العرب في البصرة وسينما الحمراء المتخصصة بعرض الأفلام العربية في الحلة وسينما صلاح الدين في السليمانية والحمراء في العمارة والحمراء في الموصل وسينما ربيعة في الكوت مؤسسها عزيز داود وسينما الأحرار في الناصرية صاحبها حمودي الحاج طالب وسينما غازي الصيفي في الناصرية صاحبها (زورا) وفي كركوك أيضاً أسس عبد الرحمن وإسحاق واصلان سينما العلمين وأسس صيون باباني سينما الحمراء الصيفي وتأسست في خانقين في الخمسينيات سينما فيصل الثاني أصحابها خليفة ومحمود قطان وحمدي رؤوف وفي أربيل أسست سينما فؤاد صاحبها ماجد فؤاد وزهرة الفرات الصيفي التي تفتح أبوابها أيام الاصطياف أصحابها قاسم ومحمد جمعة وحمدي رؤوف، وكان حمدي رؤوف أول عامل يتقن إدارة آلة عرض الأفلام في العراق.

تقاليد وطرائف

لم تكن دور السينما حتى الستينيات من القرن الماضي تقوم بالعرض صباحاً عدا يوم الجمعة حيث يبدأ العرض في الساعة العاشرة، وقد ابتكرت بعض الدور مثل الخيام وغرناطة والزوراء وروكسي عرضاً آخر هو عرض الساعة الواحدة لبعض الأفلام المختارة التي لا تعرض ضمن جدول الأسبوع، وكان العرض اليومي الأول يبدأ في الأيام العادية في الساعة الرابعة بعد الظهر يليه عرض مسائي أول في السابعة والنصف وعرض مسائي ثان في الساعة التاسعة والنصف، وكانت بطاقات الدخول موحدة ومن ثلاث درجات، الدرجة الشعبية وتسمى (أبو الأربعين) وهي قريبة من الشاشة ثمن بطاقتها أربعون فلساً ومقاعدها خشبية وقيمة البطاقة للجنود والطلبة ٢٥ فلساً، والدرجة الأولى قيمة بطاقتها ٧٠ فلساً أما الدرجة الممتازة فقيمة بطاقتها ٩٠ فلساً وتعرض دور العرض الصيفية أفلامها في دوري المساء، ثم انكسرت هذه القاعدة وأخذت دور السينما تعرض أفلامها في أي وقت ومن الطرائف في الثلاثينيات أن سينما سنترال كانت تعلن عن منهجها اليومي بعرض يقدمه عباس حلاوى وصاحبه ساسون حيث يقف عباس حلاوي في باب السينما قبل العرض بوقت قصير ويصرخ منغما صوته (أربع مناظر - ستة أيدي بولو) فيجيبه ساسون (مسلسل جاكي كوجان - مسلسل طرزان) ثم أخذ عباس حلاوي بعد ذلك يصعد على عربة مكشوفة من عربات البرشقة أو اللاندون ومعه ساسون وهما يحملان لوحة عليها صور (شيتات) الأفلام التي ستعرض تلك الليلة وهو يصيح (الليلة عدنه تبديل بالسينما) وسط ابتسامات الناس في شارع الرشيد واستيعابهم لمغزى هذا الإعلان الذي تطور فيما بعد إلى قيام إدارات السينمات بطبع أوراق تعريفية بالفلم الجديد وتوزيعها على الجمهور في الشوارع، وهناك وسائل إعلان متعددة أخرى لسنا بصددها بقدر ما يمكن القول إن هذه الجولة في دور اللهو والسمر والفن حاولت إعطاء فكرة عن البدايات في بغداد مطلع القرن العشرين وما تبعه من سنوات.

سينما الزوراء في شارع الرشيد

يوسف العاني بدور ملا عبود الكرخي

دائرة المعارف العراقية

كل (ايشان) في أهوار العراق وسهله الرسوبي يشكل تاريخاً لشيء، وكل عادة أو تقليد ينبع (تحليلياً) من قضية أو حدث، وكل مثل سائر له حكاية، وكل (تطريزة) في ثوب حسناء بدوية أو ريفية أتت من مناخ اجتماعي محدد وتطعمت عبر توالي الأجيال والحقب بتغييرات شكلية فنية لها دلالاتها. والبحث في تقنيات المعمار العراقي في الجبل والسهل وحوض الرافدين يشكل دنيا علمية بأكملها كما إن دراسة النكتة العراقية وتطوراتها يأخذ من المدى النفسي للعراقيين الكثير ويضيف إليه.

أردنا القول إن شواهد الفولكلور القوي والعملي في العراق لما يملكه من غنى أثني وتاريخي يشكل ثروة علمية اثنولوجية يمر عليها الزمن وعواصف التغيير ومنعطفات التاريخ الحاضر والماضي ليضيع منها الكثير خارج الذاكرة المتداولة، وإن الرجوع إلى تفاصيل البناء الفولكلوري العراقي بشقيه العملي والقولي المنقول المتداول والعمل على توصيفه والحفاظ عليه عبر الصوت والصورة والبحث المدون بلغة علمية تأخذ بدوافع كل حالة وأسبابها ونتائجها أمر مهم بل هو أمر بات ملحاً تنفيذه عبر تكاتف جهود الباحثين المعنيين والجهات الثقافية واستدراج جهات أخرى مانحة، شركات ومؤسسات علمية عراقية وعالمية لتمويل هذا المشروع لتتكامل بنية العمل في هذا المشروع الذي نطلق عليه مبدئياً اسم (دائرة المعارف العراقية)، وذلك أمر يستدعي البدء بالخطوة الأولى وهي العمل من أجل التخطيط للإنجاز وآلاف الأميال تبدأ بالقدم الأولى.

المحرر

من فولكلور الأشربة

السكنجبين

شراب هجرته بغداد الحديثة وعادت إليه من جديد

حسين علي الجبوري

رأيتهم متكئين على عربته النظيفة في مدخل سوق الشورجة وقد صفت على حافتها زجاجات فيها سائل رائق خمري اللون، كتب عليها لافتة كبيرة تقول (شربت اسكنجبيل) وكان الكل ينتظر دوره وصاحب الشراب يخدمهم باعتناء وقد رتب آلة الشرب على جانب من سطح العربة وهي صحن كبير فيه ثلج مكسر وأقداح نظاف واسعة وملاعق ومكيال زجاجي صغير يكيل به مقدار السائل الذي يصبه في قدح الشرب ثم يضيف إليه شيئاً من الماء بعد أن يكون قد وضع في القدح كسرات من الثلج، ثم يدس الملعقة وسطه ويقدمه للزبون، وما على الزبون إلا أن يحرك المزيج بها ثم يشرب هنيئاً وقد سمعت بعضهم تأخذهم اللذاذة فيتمطق وكأنه يستعيد قول الشاعر في الخمرة (إذا ذاقها من ذاقها يتمطق).

وفي الواقع إن هذا المشهد قد فقدته بغداد الحديثة بعد أن تحول الشرابيون إلى بيع الشرابت الغازية والكيمياوية المستوردة أو الأشربة المستخرجة من عصائر الفواكه غير إن أحدهم ولا ندري من هو قد انبرى لاستحيائه من تراث الأجداد ليتساوق مع الموجة الثقافية التي قامت حديثاً ونادت بإحياء التراث، فظهرت في المفهوم الشعبي بصيغة العودة إلى (أيام زمان) فنجد في السوق من هذه الصيغة (عنبة أيام زمان) و (طرشي أيام زمان) و (باجة أيام زمان) وهذا هو (شربت أيام زمان) رحم الله أيام زمان.

السكنجبين في بغداد القديمة

وكان السكنجبين - ويلفظ اليوم باللام تصحيفا وهو شراب معرب معناه خل وعسل كان يقدم في الولائم الخاصة والعامة التي يقيمها كبار المسؤولين في العصر العباسي. فيذكر الصابي أنه كان لابن الفرات وزير المقتدر (ت/ ٣١٢هـ) مطبخ للخاصة ومطبخ للعامة فيهما خزانة للشراب:

(وكان برسم خزانة الشراب خدم نظاف
عليهم الثياب الدبيقية السرية وفي
يد كل واحد منهم قدح فيه سكنجبين أو
جلاب وكوزماء ومناديل من مناديل الشرب
نظيف فلا يتركون أحداً ممن يحضر الدار
من القواد والخدم السلطانيين والكتاب
والعمال إلا عرضوا عليه ذلك).

مجالس السكنجبين

ويظهر من خلال المرويات أن شرب السكنجبين كان له آيين خاص كآيين شرب الخمرة، حيث يعقد له مجلس كمجلسها ويدار على الشاربين في أقداح كما تدار الخمرة، يدور به عليهم ساق لطيف له أوصاف ساقي الخمرة وهم يتناولون منه ويشربون ثم يحاكون معاقري الخمرة في أحاديثهم وينبسطون كانبساطهم. وقد حرم الفقهاء هذه المجالس كما حرموا شرب الكسنجبين إذا جاء على هذه الصورة. قال (البهوتي) في كشف القناع:

(فلو إن جماعة اجتمعوا ورتبوا مجلساً
وأحضروا آلات الشراب وأقداحه وصبوا
فيها السكنجبين ونصبوا ساقيا يدور
عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساقي
ويشربون ويجيء بعضهم بعضاً بكلماتهم
المعتادة بينهم، حرم ذلك وإن كان المشروب مباحاً لأن ذلك تشبه بأهل الفساد).

السكنجبين في المأثورات اليونانية ولهذا الشراب تاريخ قديم يتصل بمأثورات اليونان فقد ورد ذكره في سر الأسرار لتأسيس السياسة وترتيب الرياسة لأخوان الصفاء وهي وصية الفيلسوف أرسطو طاليس (٣٨٤ - ٣٢٢ ق. م) لتلميذه الاسكندر يقول فيها:

(ولا تمل شرب السكنجبين على الريق
وغير الريق عند استيلاء الرطوبات
وإحساس البلاغم الطاغية فهو فاضل
ثم يوصي من غلبت عليه الصفراء بتناول ما أمكنه منه بالماء البارد قبل الحمام وأن يتناول عليه وزن خمسة دراهم من الخبز فهو يدفع عنه الصفراء ولا يأخذ من الحمام) يقصد أن الحمام يأخذ من سوائل الجسم فيقوم السكنجبين بالتعويض عنها.

السكنجبين في المأثورات الإسلامية

ويرى الإسلاميون أن السكنجبين كان في الأصل إداماً للنبي (ص) فقد ذكر إنه (ص) كان يأتدم بالخل والعسل وهما المادتان الرئيستان في صنع السكنجبين، فلما مضى الزمان على ذلك جمعها الأطباء وجعلوها أصل المشروبات ولم يكن عند الأطباء إلا السكنجبين فلما كان زمن الخلفاء دبروا الأشربة وحركوها عنه وقالوا بمنفعته في عموم الأمراض (فيض القدير/ ٦/ ٣٧١).

وقد جاء في كتاب (الأمان من أخطار الأسفار) لابي طاووس: إن المسافر إذا أراد الدخول إلى مدينة لأول مرة عليه أن يتوقى من استعمال الأغذية التي يسرع إليها الفساد والاستحالة كالألبان والأجبان والأمصال وعليه أن يشرب السكنجبين كثيراً في الطعام. وكأنما أراد أن يقول إن هذا الشراب يعمل في الجسم عمل الأدوية الكابحة لحيوية الجراثيم التي يطلق عليها اليوم اسم المضادات الحيوية (الأنتي بايونيك).

مكتبة

هجرات الهلاليين

تأليف/إبراهيم إسحاق إبراهيم

عنوان الكتاب (هجرات الهلاليين من جزيرة العرب إلى شمال أفريقيا وبلاد السودان) ومؤلفه باحث متخصص يحاول أن يبني جسراً بين التاريخ والأدب، فالأخبار تعني التاريخ، والسيرة تعني الأدب، وهو يتابع تفاصيل سيرة الهلاليين المروية على أسس الخبر التاريخي معتمداً التراث الشفهي كجزء من التاريخ. ناشر الكتاب مركز الملك فيصل للبحوث في الرياض عام ١٩٩٦ في ٣٥٠ صفحة.

زينة وأزياء المرأة القطرية

المؤلف: مختلفات

يتألف هذا الكتاب الوثائقي من ٣٠٦ صفحة، ومن مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، أعدت المقدمة والخاتمة آمنة راشد الحمدان، وكتبت الفصل الأول (الأزياء النسائية القطرية في الماضي) ظبية عبد الله السليطي، وكتبت الفصل الثاني (الزينة العامة) نوره ناصر آل ثاني، وأعدت الفصل الثالث (العطور) شيخة عبد الله آل ذياب، وحررت الفصل الرابع (المصوغات الذهبية والفضية) ظبية محمد الكعبي.

والكتاب جهد تفصيلي في هذه الجوانب الحيوية من زينة وأزياء المرأة في قطر حاضراً وماضياً. صدر الكتاب عن مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون عام ١٩٩٧.

أصول الآداب الشعبية الغربية

تأليف/أ. ل. رانيلا

ترجمة/ د. نبيلة إبراهيم

قصة يوسف وزليخا - سليمان وملكة سبأ - الاسكندر الأكبر - من التراث الديني إلى التراث الأدبي - مجالس المتعلمين - ألف ليلة وليلة - نفح الطيب، هذه هي فصول كتاب رانيلا المهم الذي يؤكد تغلغل تراث الأدب الشعبي العربي في صياغة الحكاية الشعبية الغربية ودورها في بناء الأدب الأوربي الحديث استناداً إلى النصوص الدينية (التوراة - الانجيل - القرآن الكريم) والحكايات والسير الشعبية العربية والشرقية وترجماتها إلى الآداب الأوربية).

ستوديو ثقافة شعبية

غرشة خليجية وتسمى محليا (الكدو)

حسناء من امبراطورية الفولة الافريقية الرحالة

عازف من قرية كبرلي (محافظة نينوى) على الطنبورة صغيرة